سياسة النبي(ص) تجاه اليهود :-

أ- سياسته (ص) مع بني قينقاع :-

اتفقت المصادر التاريخية على أن يهود بني قينقاع كانوا أول القبائل اليهودية التي نقضت العهد مع النبي (ص) وتحدته من اجل المواجهة في ساحات القتال وبحسب المصادر تبعت في ذلك عده طرق منها أنها كانت تقلل من شأن انتصار المسلمين على مشركي مكة في معركة بدر وكانوا يقولوا" لم يلق محمد من يحسن القتال ولو لقينا لاقى عندنا قتالا لا يشبه قتال أحد " ويظهر مما اوردته المصادر أنهم لم يكتفوا بمجرد تحدي سلطة الرسول(ص) بالقول وإنما بالفعل ومما يذكر بهذا الشأن أنهم اقدموا على فعل فاحش مع من العرب قدمت ببضاعة لها فباعتها في سوقهم وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعند الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودي وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ولم يحاولوا الاعتذار عن صنيعتهم بل أنهم نبذوا العهد الذي كان يربطهم بالمسلمين إلى النبي (ص) وأعلنوا الحرب وتحصنوا في قلاعهم لذا لم يجد النبي (ص) مناصاً من الاعلان الحرب عليهم ومقاتلتهم وكان ذلك بعد قدوم النبي (ص) إلى المدينة بعشرين شهرا . ويبدوان بني قينقاع كانوا مغترين بقوتهم التي قدرت بحسب بعض المصادران عدد مقاتليهم يبلغ سبعمائة مقاتل وكان لديهم حصن منيع يتحصنون به أثناء القتال فضلا عن أنهم كانوا يرتبطون بحلف مع بني عوف من الخزرج الذين ينتمي إليهم عبد الله بن أبي زعيم المنافقين وهو الذي شجعهم على محاربة النبي (ص) ووعدهم بأنه سيدخل معهم حصنهم ويقاتل إلى جانبهم وربما اوحى إليهم بأنه قادرا على احداث تصدع في صفوف المسلمين واجتذاب قومه من الأنصار للوقوف إلى جانبهم في حربهم للرسول (ص) . غير أن آمالهم خابت وشجاعتهم المزعومة تحولت إلى تردد وذعر وخوف حينما توجهت قوات المسلمين إليهم وحاصرتهم في عقر دارهم خمسة عشر يوما لم تجد لديهم الجرأة خلالها للخروج لمقاتلة المسلمين كما لم يجد عبد الله ابن أبي لديه القدرة على نجدتهم لان قومه بني عوف رفضوا دعوته للتمسك بحلفهم مع بني قينقاع .

ولذا لم يجد ابن أبي من وسيلة لمساعدتهم سوى أن يتوسط لهم عند النبي (ص) كي يمن عليهم ولا ينفذ فيهم العقاب فوافق النبي (ص) على ذلك وطلب منهم الجلاء عن المدينة خلال ثلاثة أيام فوافقوا وتركوا المدينة خلال المدة المحددة لجلائهم . أن موقف بني قينقاع يثير التساؤل عن العوامل التي جعلتهم يسارعون إلى نقض عهدهم مع النبي (ص) دون غيرهم من القبائل اليهودية التي كانت تقطن معهم في المدينة . أنه كان ليهود بني قينقاع سوق في المدينة يحمل اسمهم كانوا يشتغلون في هذا السوق بالتجارة وممارسة الحرف كالصياغة لذا فقد وجدوا في اشتغال المسلمين من المهاجرين الذين اشتهروا ببراعتهم التجارية بحكم انتمائهم إلى قبيلة قريش ما يهدد مصالحهم الاقتصادية . تضافر هذا العامل مع العوامل الدينية والسياسية من أجل تحريك مشاعر العداوة والحقد على المسلمين ودفعهم إلى نقض عهودهم مع الرسول (ص) ومحاربته .

ولقد ترتب على انتصار المسلمين على بني قينقاع وإجلاءهم عن المدينة إلى منطقة أذرعات في بلاد الشام ، أن ازداد مركز النبي(ص) قوة في داخل المدينة وضعف مركز خصومه من المنافقين واليهود كما تحسنت أوضاع المسلمين الاقتصادية وبخاصة أحوال المهاجرين منهم بسب استفادتهم من المساكن والأموال إلى تركها بنو قينقاع هذا فضلا عن زوال المنافسة التجارية التي كان يمثلها هؤلاء اليهود للمهاجرين الذين كانوا يمارسون المهنة نفسها .

ب- سياسة النبي ص مع بني النضير :-

أيقن النبي (ص) بعد انكشاف أمر هذه المؤامرة انه ليس بالإمكان التعايش بسلام مع يهود بني النضير في المدينة وبحسب بعض المصادر لذا فقد أرسل إليهم احد اصحابه وهو محمد بن مسلمة من الاوس الذين كانوا حلفاء بني النضير ليبلغهم جواب النبي (ص) على غدرهم ونقضهم للعهد بقوله :"اخرجوا من بلدي فقد اجلتكم عشراً فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه " ولم يكن هذا القرار يتضمن أكثر من طلب الجلاء عن المدينة ومن ثم فقد كان يحق بموجبه لبني النضير في حالة قبولهم له أن يحتفظوا باراضيهم وأموالهم واخذ اموالهم المنقولة معهم ، واستثمار اموالهم غير المنقولة كالمزارع بالواسطة غير أنهم لم يمتثلوا لأوامر النبي (ص) بالجلاء عن المدينة وقد شجعهم على اتخاذ هذا الموقف عد الله بن أبي حينما وعدهم في حالة صمموا على محاربة النبي (ص) بالمساعدة والقتال إلى جانبهم مع الفين مقاتل من قومه بني عوف وغيرهم من العرب وهكذا رفض يهود بني النضير الانصياع لأوامر النبي (ص) بالجلاء عن المدينة ومن ثم عد الرسول ص رفضهم مثابة إعلان حرب فقال (ص) "حاربت اليهود" ثم طلب من صحابته التوجه نحو ديار بني النضير لمحاربتهم وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة أربعة للهجرة فحاصرهم وهم في قلاعهم ويقال انه شدد عليهم الحصار ثم قام بحرق مزارعهم وبعض نخيلهم مما اثر على معنوياتهم كثيراً وبخاصة أنهم قد يئسوا من مساعدة زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بحسب لهم كما وعدهم .

لذا ارسلوا إلى النبي (ص) يخبرونه بموافقتهم على الجلاء بالشروط السابقة إلا أن النبي (ص) أوضح لهم أن تلك الشروط كانت قبل القتال أما وقد اختاروا الحرب فان عليهم الاستسلام وفقا للشروط الجديدة وهي أن يقوموا بالجلاء عن المدينة على أن " لهم ما حملت الإبل من اموالهم و اسلحتهم للرسول (ص) وان يأخذوا معهم اموالهم المنقولة التي يستطيعون حملها على ظهر الإبل " .

ولقد تردد اليهود يوما أو يومين في قبول هذه الشروط ثم اعلنوا الاستسلام بعد أن ادركهم الياس من تحقيق النصر أو الحصول على النجدة من حلفائهم .وهكذا قد تم اجلاء بنو النضير من المدينة وقد ترتب على ذلك نتائج على مختلف المستويات منها :

لقد ترتب على نجاح المسلمين في إجلاء بني النضير عن المدينة أن ازداد مركز النبي (ص) قوة على مستوى الجبهة الداخلية في الوقت الذي ضعف فيه مركز خصومه من اليهود والمنافقين .

أما على مستوى الجبهة الخارجية فقد أصبحت امكانات الرسول (ص) و أتباعه أقوى على مواجهة تحديات الأعداء .

وعلى المستوى الاقتصادي فقد ساعد حصول المسلمين على أموال بني النضير على موازنة الأوضاع الاقتصادية في المدينة ، إذ قام الرسول (ص) بتوزيع هذه الأموال باعتبارها فيئاً أي عطاءاً افاءه الله على رسوله من غير قتال على الفقراء المهاجرين بصورة أساس ثم استبقى جزءا قليلا من للاستفادة من غلته لسد حاجات بيته وذوي قرباه لمدة سنة وما زاد على ذلك كان ص يخصصه للنفقات العامة ، ومساعدة ذوي الحاجة .

ويبدو أن بعض الصحابة قد ظن أن ما حصل عليه المسلمين من فيء بني النضير هو غنيمة ينبغي توزيع أربعة أخماسها على المقاتلين وإبقاء الخمس للنبي(ص) يقسمه على ذوي الحاجة إلا أن القران الكريم أوضح أن هذه الأموال تختلف عن الغنائم لأنها لم تأت عن طريق القتال وإنما هي عطاء من الله للرسول(ص) وفق مصالح المسلمين ولمعالجة حاجة الفقراء منهم على وجه الخصوص بقوله تعالى : {مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }الحشر7

ج- سياسة الرسول ص مع ني قريظة وحصار المسلمين لهم :-

لم يكن باستطاعته (ص) بحسب المصادر التسامح مع يهود بني قريظة بعد أن نقضوا عهدهم في أحرج لحظة من تاريخ دولة المدينة اثر مهاجمة قوات المشركين لها في معركة الأحزاب وكادوا أن يتسببوا في القضاء عليها لذا ما أن كادت الأحزاب تنسحب عن المدينة حتى طلب(ص) من رجاله أن يتوجهوا إلى بني قريظة لمحاربتهم وكان ذلك في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة . كعادة تحصن اليهود في قلاعهم وحاصرتهم قوات المسلمين خمسة وعشرين يوم ولم يصدر عن اليهود ما يدل على وجود نية أو عزيمة للقتال وكانوا مترددين وخائفين ، وقد حاولوا إقناع النبي (ص) أن يعاملهم كما عامل يهود بني قينقاع أو بني النضير ، غير انه (ص) اصر على أن يستسلموا دون قيد أو شرط واخيرا وافقوا على أن يحكم في مصيرهم سعد بن معاذ من زعماء الأوس لأنه كانت تربطه بهم علاقات تحالف قديمة فوافق النبي (ص) على طلبهم وترك لسعد بن معاذ أن يحكم فيهم . وقد حاول اليهود وكذلك بعض المسلمين من قبيلة الأوس استعطاف سعد بن معاذ والتأثير فيه للحكم عليهم مخففاً ،غير أن سعد كان يعاني من جرح قاتل أصابه في أثناء حصار الأحزاب للمدينة ، والذي كان ناقماً على يهود بني قريظة لغدرهم وسوء استقبالهم له حينما حاول إقناعهم بالمحافظة على عهدهم مع النبي (ص) وقد قال سعد لهم:" آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم ، ثم قال بأني احكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء"

وعلى الرغم من اغلب المصادر تؤكد أن النبي (ص) قد نفذ الحكم في يهود بني قريظة عقوبة لهم على غدرهم ،فأن هناك من الباحثين المعاصرين من يشككون في ذلك لجملة أسباب نورد منها ما يلي :0-

1- أن قتل جميع بني قريظة الذين يتراوح عددهم بين الستمائة والسبعمائة بعد أن ألقوا السلاح وأعلنوا الاستسلام لا ينسجم مع سياسة النبي (ص) التي مارسها ضد خصومة سواء كانوا من المشركين أم اليهود .
2- لقد حدد القران الكريم أسلوب معاملة الأسرى بقوله تعالى : (فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء) سورة محمد الآية 4، أي أن الأسير يعامل إما بإطلاق سراحه مقابل فدية ولم يرد في القرآن نص يجيز قتل الأسرى .
3- قد يقال إن رجال بني قريظة ليسوا مجرد أسرى بل أنهم مجرد حرب لأنهم نقضوا عهدهم مع النبي (ص) وهو يخوض حرب مصيرية وحاولوا طعنه من الخلف والحقيقة أن هذا الرأي عده بعض الباحثين صحيح بالنسبة لزعمائهم وذوي الرأي منهم ، أما عامتهم فهم تبع لأسيادهم في أوقات السلم والحرب لذا فإن بالإمكان القول أن النبي (ص) قد قتل زعماء بني قريظة بصفتهم مجرمي حرب وعفا وأخذ الفدية من الباقين وحسب ظروف كل حالة وربما في القرآن ما يؤيد هذا الرأي في وصف قتال المسلمين لبني قريظة : {وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً }الأحزاب26. وقوله تعالى : {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً }الأحزاب27

إن القراءة المتمعنة لهذه الآيات توصل منها بعض الباحثين إلى أن المسلمين قد قتلوا من اليهود وربما كان ذلك في أثناء الحرب وأسروا الفريق الآخر ثم أجلوهم عن ديارهم بعد أخذ الفدية منهم كما فعلوا مع بقية اليهود .

وهنا قد يثار تساؤل عن الكيفية التي دخلت فيها المعلومات عن قتل النبي (ص) لجميع رجال بني قريظة في كتب التاريخ الإسلامي ورد احد الباحثين على ذلك بقوله إن أقدم مصدر وردت فيه هذه الأخبار هو كتاب المغازي لأبن إسحاق والذي اعترف فيه انه قد أخذ تفاصيل أخباره من مصادر مختلفة واهم مصادره محمد بن كعب القرظي وعطية القرظي وهما من أبناء اليهود الذين اسلموا ومن المعروف أن هؤلاء أدخلوا الكثير في السيرة مثل هذه القصص لا تدل على حسن نية أو أنها تدل على ميل لتفخيم أجدادهم وتضخيم أعمالهم .

عموما كان من نتائج انتصار المسلمين على بني قريظة تصفية النفوذ اليهودي حيث لم تعد أية تكتلات قبلية يهودية وإن لم تخل المدينة من بعض اليهود الذين استمروا في العيش فيها وبذلك أصبحت الكلمة الأولى والأخيرة في المدينة للإسلام والمسلمين وأصبح بإمكان النبي (ص) أن يتطلع إلى خارج المدينة من أجل نشر الدعوة الإسلامية كذلك ضعفت نفوذ اعدائه من المنافقون والمشركين في المدينة .